الباخرة بحر احمر

وجمعية الهلال الاحمر

من مقالة نشرت في مجلة الجراحة العسكرية بقلم طبيب اميركي

لم تقم بوارج الاسطول العثماني بعمل يذكر في الحرب البلقانية الاخيرة ولكن باخرة من بواخره النقالة قامت بخدمات جليلة بعد ان حوّلتها جمعية الهلال الاحمر المصرية الى مستشفى . وقد استأجرت جمعية الهلال الاحمر هذه الباخرة واسمها « بحر احمر » من الحكومة العثمانية في ميناء بور سعيد وعهدت الى الدكتور محجوب ثابت الاستاذ السابق للباثولوجيا والبكتريولوجيا في المكتب الطبي في القاهرة بترتيبها وتجهيزها بكل ما يلزم لجعلها مستشفى فاتمّ مهمتهُ في اسبوعين . ورُفع عليها علم ابيض رسم عليهِ هلال احمر وبقي ربانها يديرها ومعهُ نوتيتهُ . اما رئاسة المستشفى فاسندت بالدكتور ثابت

وجمعية الهلال الاحمر مثل جمعية الصليب الاحمر في غايتها ورئيسها في مصر الامير محمد علي باشا شقيق الخديوي . وينفق عليها مما تبرع بهِ المتبرعون المصريون مدفوعين بعوامل الشفقة وعمل الخير والغيرة للعثمانيين

صُنعت هذه الباخرة في بلاد الانكليز سنة ١٨٩٣ وكان اسمها رولاند فغيّرهُ العثمانيون لما اشتروها . وحمولتها ٣٠٠٠ طن ويبلغ طولها ٣٥٧ قدماً وعرضها ٤٣ قدماً . وقوة آلاتها البخارية ٢٢٥٠ حصاناً وسرعتها ١٢ ميلاً بحرياً في الساعة وفيها مكانٌ لخزن الفحم يسع ٥٨١ طناً

وأُعدّت في الباخرة كل المعدات التي تؤول الى راحة المرضى والجرحى والمهاجرين سواء كانوا اولاداً او نساء او رجالاً

وأُفرزت فيها غرفة لاجراء العمليات الجراحية وجهّزت بكل ما يلزم من ادوات الجراحة والاجهزة لتطهير الادوات ونحو ذلك وغرفة اخرى ليُنام فيها الجرحى . وحمل فيها من الادوية كل ما يحتمل ان تعرض حاجة اليهِ نذكر منها المصل المضاد للكزاز والمصل المضاد للالتهاب السحائي وغيرهما ايضاً للدفتيريا والدوسنطاريا والتيفريد

وتدفأ غرف الباخرة بانابيب بخارية الاّ انهُ لم يكن فيها وسائل لتجديد الهواء لانها نقالة عسكرية

ولما سقطت سلانيك في ايدي اليونان والصرب والبلغار نُقل اليها الجرحى والمرضى

الذين كانوا في مناستير وجوارها فكان اعضاء الممالك المتحالفة يعتنون بهم ويشاركهم في ذلك بعض اعضاء الجيش العثماني . وحدث انفجار في مخزن من مخازن البارود في سلانيك فجرح به مئتان من الاسرى العثمانيين فسمح لجمعية الهلال الاحمر المصرية أن تنقلهم الى مدينة ازمير وسمح لها ايضاً ان تنقل المهاجرين الذين بلغ عددهم في مدينة سلانيك زهاء ثلاثين الفاً اكثرهم نساء واولاد وشيوخ عجز ممن حلت بهم ويلات الحرب ولم يبق لديهم ما يكفيهم من القوت والكسوة

ولا يعلم عدد ضحايا هذه الحرب تماماً ولكن الدكتور ثابت يقدّر عدد القتلى من المسلمين باكثر من مئتي الف . ويقال ان كثيراً من الذين شهدوا مذابح اطنه لجأوا الى العصابة البلغارية التي كانت تتبع خطوات الجيش البلغاري ويعزى اليهم اكثر الدمار والعيث الذي قامت به هذه العصابة

الا ان الاطفال والنساء ابرياء لا يستحقون ان يعاملوا الاّ بالعطف والحنان . وقد قامت جمعية الهلال الاحمر نحوهم بخدمات تشكر عليها فانها عالت المهاجرين على باخرتها واعتنت بالجرحى والمرضى . وكانت الباخرة تحمل في كل سفرة من ١٨٠٠ الى ٢٠٠٠ مهاجر و ٣٠٠ الى ٥٠٠ جريح

ولا يخفى ما تستوجبهُ كثرة الركاب وازدحامهم في الباخرة من العناية والمحافظة على النظافة وشروط الصحة . ولما كثر الركاب انضم الى رجال جمعية الهلال الاحمر سبعة جراحين من الجيش العثماني وثمانون من الاعوان لتضميد الجراح والاعتناء بالمرضى من الركاب الذين يصابون بالجدري والدوسنطاريا والحمى التيفودية والروماتزم والنومونيا فكان على الاطباء ان يشتغلوا آناء الليل واطراف النهار

وكانت الدوسنطاريا متفشية في الجنود ولكن لم يصب احد منهم بالكوليرا . اما الاطعمة التي تقدم للركاب فهي الخبز والشاي والقهوة والعدس والرز والثمار والخضار ويضاف اليها احياناً قليل من اللحم والسمك المتدّد فكانوا يستطيبونها كثيراً لان اكثرهم معتاد على شظف العيش ولا يأكلون مثلها في بيوتهم . وجراحو جمعية الهلال الاحمر من الشبان المقتدرين الذين تلقوا دروسهم في المدارس الطبية في القاهرة او بيروت او باريس . وقد لاقوا صعوبات جمة في الاعتناء بالركاب لان هؤلاء يجهلون وسائل حفظ الصحة حتى ابسطها فكانت الباخرة تتنظف وتطهّر بعد كل سفرة

ولغة المصريين العربية لذلك كانت لغة التفاهم بينهم وبين الاطباء الاتراك اللغة

مستشفى الهلال الاحمر المصري في سان ستفانو

(التقطف صفحة ٣٣٥ مجلد ٤٤)

الفرنسارية . وكان المهاجرون والجنود ينزلون الى البر في ازمير بزوارق كبيرة تستعمل عادة لنقل البضائع الى الباخرة ومنها فيرسل الجرحى والمرضى الى المستشفى العسكري او المستشفى البحري والمهاجرون الى الجوامع ريثما تهيأ لهم اماكن في الارياف يسكنون فيها ويتعاطون عملاً يتعيشون منهُ . وكانت الحكومة العثمانية تجري على المهاجرين جراية فيصيب المهاجر حوالي قرشين في اليوم . واعانتهم الجالية الاوربية في ازمير بما جمعت من تبرعات المحسنين فوزعت عليهم الثياب والملاءات واشياء غيرها

ولا بد ان ينتقل كل المهاجرين الذين في سلانيك الى بر الاناضول . اما عدد المهاجرين في الاستانة فبلغ ٢٠٠٠٠ نفس وكان فيها اطباء لجمعية الهلال الاحمر المصرية يؤاسون المرضى والجرحى . واسكنت الحكومة المهاجرين الذين اتوا الاستانة في الاقسام الشمالية من بر الاناضول

وقد وقعت اشد ويلات هذه الحرب على المهاجرين فقاسوا من المشقات والنوازل ما يصعب تصوُّرهُ فلبعثة الهلال الاحمر المصرية وباخرتها « بحر احمر » فضل كبير في تخفيف هذه الويلات عن المنكوبين

هذا وقد صدر الآن التقرير الاخير لجمعية الهلال الاحمر المصرية ويؤخذ منهُ ان ايرادات الجمعية من اموال التبرعات وفوائدها بلغت في ٣١ دسمبر الماضي ٩٢٥٧١ جنيهاً و ٥٤٨ مليماً وان نفقاتها الى اليوم المذكور بلغت ٥٥٤٦٣ جنيهاً و ٢٤٨ مليماً فيكون الباقي لدى الجمعية ٣٧١٠٨ جنيهات و ٢٦٤ مليماً

وقد اوفدت الجمعية الى ساحات الحرب في البلقان سبع بعثات طبية كل منها مؤلفة من اطباء وصيادلة ومأمورين وكتبة وممرضين وخدمة ومعهم العدد الكافي من الاسرَّة والادثرة والملابس والادوات والمهمات والاغذية والمستشفيات النقالة وحيوانات الحمل والاوتوموبيلات اللازمة للنقل وغيرها من وسائل الاسعاف . وخصت كل بعثة باجرخانة حاوية للادوية والعقاقير المختلفة وغرفة لعمليات فيها كل ما يلزم من الاجهزة والآلات الجراحية . وبلغ عدد الموظفين والمستخدمين الذين اشتغلوا في هذه البعثات ٣٨٥ منهم ٥٦ طبيباً وثلاثة من مساعدي الاطباء وتسعة من الصيادلة ومهندس آلات و ١٤ مأموراً وكاتباً و ٣٠٣ ممرضين وخدم . وبلغ عدد الجرحى والمرضى الذين عالجهم رجال هذه البعثات ٣٤٤٦١ منهم ١٠٣٢٨ عولجوا في المستشفيات و ٤٢١٣٣ عولجوا خارجها و ٩٣١ اجريت لهم العمليات الجراحية و ٣١٥ توفوا في المستشفيات

وبلغ ما انفقتهُ الجمعية مباشرة على البعثة الاولى ٨٧٧٤ جنيهاً و٣٤ مليماً وعلى الثانية ٧٧٦٧ جنيهاً و٧١ مليماً والثالثة ٣٢٣٤ جنيهاً ٢٨٨ مليماً والرابعة ١٠٢٩١ جنيهاً و٤٣٥ مليماً والخامسة ٢٣٩٥ جنيهاً و٥٤٣ مليماً والسادسة ٤٨٣ جنيهاً و٥٤٨ مليماً والسابعة ٨٠ جنيهات و٧٥٥ مليماً . وعلى مستشفى يدي قلد ٥٢٨ جنيهاً و٣٩٠ مليماً

وبلغ ما انفقتهُ على اعانة منكوبي الحريق في طنان والبرادعة بمديرية القليوبية ٦٠٢ جنيهين و٨٠٠ مليم

وبلغ ما انفقتهُ الحراسة القضائية لجمعية على البعثات والاعانات ٥٦١٩ جنيهاً و٧٣٥ مليماً

وقامت الجمعية عدا ذلك بنقل ٢٩٠ ٢ من المهاجرين والجرحى وارامل الجنود الذين استشهدوا في ساحات الوغى وايتامهم واعالت ٣٦٠ عائلة في ادرنه مدة سبعة اشهر و١٢٥ عائلة في بريفزا مدة اربعة اشهر وآوت ٧٠٠ مهاجر من مهاجريها . واسعفت ٦٢٠٩ من فقراء المهاجرين في الاستانة بالطعام والملابس والادثرة وسائر وسائل التدفئة . واعانت الوفاً عديدة من المهاجرين اليونانيين في ادرنه وسلانيك وازمير ورودستو ومسروى وبروني وسينوب وغيرها بالمال والطعام والملابس . وقامت بنفقات دفن ٤٣٧ منهم ٣١٥ توفوا في مستشفيات الجمعية و ١٢٢ من فقراء ادرنه

وقد زار مستشفيات الجمعية وتعهد اعمالها الخيرية العديدة كبار رجال الدولة العلية وعظماؤها وارباب المناصب العالية من عثمانيين واجانب فابدوا السرور التام عما رأوهُ من النظام والاستعداد وكفاءة القائمين بامرها وعنايتهم براحة المرضى والجرحى والبؤساء . وارسل كثيرون منهم التلغرافات ورسائل الشكر الى صاحب الدولة رئيس الجمعية وكتب كثيرون من الكتّاب العثمانيين والاجانب المقالات الكثيرة في الصحف العثمانية والاجنبية عن الخدمات الجليلة والمآثر الحميدة التي قامت بها البعثات في ميادين الحرب واثنوا على القائمين بشؤونها واطنبوا في وصف مستشفياتها وحسن نظامها واستعدادها فقالوا انها لا تقل عن افضل المستشفيات الاوربية والاميركية في مثل هذه الاحوال بل انها تفضلها في كثير من الامور

ولقد تفضّل جلالة السلطان الاعظم فاعرب غير مرة عن قدر جلالتهِ السامي لاعمال الجمعية وتكرم فنطق بهذا النطق الشريف وهو «اني أُسر كلما سمعت اسم الهلال الاحمر المصري او شاهدت عضواً من اعضائهِ »